

# ملاحم كونيّة الهرمينوطيقا

جون غرونډان

ترجمة: مصطفى العارف



© 2015

جميع الحقوق محفوظة  
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث

All rights reserved  
Mominoun Without Borders

## ملاح كونيّة الهرمينوطيقا\*

المؤلف: جون غروندان (كندا)  
تقديم وترجمة: مصطفى العارف

---

\* J.Gronin, «les visages de l'universalité de l'herméneutique», L'herméneutique, Que sais – je? éd. PUF, 2006.

## تقديم المترجم:

يتطرق هذا المقال إلى مسألة كونية الهرمينوطيقا، اعتباراً أنّها تمثل واحدةً من أهم المباحث الفلسفية التي شكلت حجر الزاوية في الفلسفة المعاصرة. المقال للفيلسوف الكندي جون غرونجان واحد من أهم الباحثين في مجال الهرمينوطيقا.

انشغل شلايرماخر بمسألة كونية الهرمينوطيقا باعتباره أنّ الفهم ينقسم إلى قسمين: أولاً الفهم والتأويل اللغوي، وهدفه البحث عن فهم كل عبارة استناداً إلى النظام اللغوي العام المتداول. والثاني متمثلاً في منحى التأويل التقني والذي سيسمّى فيما بعد بالتأويل النفسي، ومراده الإحاطة بدقائق النظم والأسلوب لدى مؤلف ما<sup>1</sup>. لا يتحقق الفهم المثالي إلا بهذين النمطين من التأويل، فالمعرفة بضرورة الفكر تكون عوناً وسنداً للفهم اللغوي<sup>2</sup>، مقابل ذلك لا يكفي الفهم النفسي وحده، لأنّ الفكر لا يتضح إلا إذا أُلقي به في الكلام.

يعتبر التأويل فناً لإيجاد معنى الخطاب اعتماداً على لغة متداولة، وهنا نضطر لنسيان المؤلف، ونستحضر ما هو مشترك بين القارئ والكاتب للوصول إلى معنى محدد متوافق عليه. بالمقابل يستهدف التأويل التقني المتكلم بشكل مباشر، مما يحتم نسيان اللغة التي يتكلم بها. يجب الانطلاق حسب شلايرماخر من الشخص الناطق للخطاب لفهم محتوى قوله، والانخراط في نفسيته لمعرفة دواعي خطابه، والوصول إلى المعنى المقصود.

إنّ بلورة مشروع للهرمينوطيقا من طرف شلايرماخر اعتماداً على أطروحات Ast و wolf الفيلولوجية يُعد خطوة مهمة في تاريخ فن الفهم ومقوماته، فقد حاول تأسيس هرمينوطيقا تتسم بالكونية، وستصبح مبحثاً كونياً يشمل جميع الثقافات والديانات.

تكمن كونية الهرمينوطيقا كما بسطها شلايرماخر في الكشف عن الأسس التي سنتهض عليها هذه الهرمينوطيقا من حالتها الأولى، أي أنّ المراد هو تأسيس هرمينوطيقا تكون صالحة لكل زمان ومكان، وهذا هو الوجه الأول للهرمينوطيقا، أما الثاني فيتعلق بتحويل الهرمينوطيقا من مبحث وسيليّ إلى منهج يُعتمد عليه كلّما كانت الحاجة ملحة للفهم والتفسير، بينما يكمن الوجه الثالث في أنّها لم تعد تقتصر على تفسير النصوص المكتوبة فقط، بل امتدت لتشمل تمحيص الخطاب الشفوي في عموميته.

<sup>1</sup> - F.Schleiermacher, Herméneutique, tr. M. Simon, p.22.

<sup>2</sup> - Ibid.

ستأخذ المسألة مع غادامير منحى آخر، فعلى الرغم من أنّ صاحب كتاب الحقيقة والمنهج لم يخصّص للموضوع حيزاً كبيراً في كتابه، إلاّ أنّه حاول تطوير المسألة في ثنايا الكتاب دون الإشارة إلى ذلك، زد على ذلك أنّه دخل في سجال مع هابرماس يخص مسألة كونيّة الهرمينوطيقا، مما حدا به إلى تحرير مقالات عديدة للدفاع عن تصوراته حول المسألة.

تتجلى كونيّة التجربة الهرمينوطيقية حسب غادامير في الحوار والتفاهم والسؤال. يذهب غادامير إلى أنّ بنية السؤال موجودة في كل تجربة، ذلك أنّ كل سؤال هو اعتراف بأننا لا نعرف، وأنّ الجواب لم يتقرر بعد، فصيغة السؤال أصعب من الجواب<sup>3</sup>. أن تسأل يعني أن تطرح إشكالاً، أن تؤوّل السؤال تأويلاً، وهو معرفة من جهة، ونفي من جهة أخرى. أن تؤوّل نصاً يعني أن تتفاعل معه، أن تفهمه باعتباره جواباً على مجموعة من الأسئلة تُطرح عليك لفك رموزه، ذلك أنّ أفق النص هو أفق السؤال الذي يحيط بإجابات أخرى ممكنة.

إنّ جدلية السؤال والجواب لا تهدف إلى البرهنة عما تدافع عنه انطلاقاً من دحض الأطروحات المعارضة، بل تحاول أن تعطي في كل مرة أهمية كبيرة للأراء والتصورات الأخرى كي تكون مناسبة لسؤال آخر، ومن ثمة الاستمرار في التساؤل وبالتالي الاستمرار في التفكير<sup>4</sup>. نسمي هذه الحركية **جدلاً**، لأنّها تمثل الحوار الحقيقي، حسبما تُمكن من الكشف عن الفهم داخل بنية الحوار<sup>5</sup>، إنّها تكشف عن **التفاهم**.

لا يحاول الحوار مناهضة المحاور، ولا يتعرض لقضاياه بغاية هزمه، ذلك أنّنا عادة ما نهدف في الحوار إلى إسقاط آراء الآخر، بل واستعمال مغالطات وأساليب قد تُخلّ بموازن الحوار وتغيّر مجراه. لا يحاول الحوار، والحالة هذه، إسكات الآخر من أجل هزمه ودحض أفكاره، بل يحاول إظهار مكامن القوة فيما يعتقد ويقتنع به، فيستند إلى قوة الحجّة وليس إلى حجّة القوّة.

أن يكون هناك حوار، حيثما كان وكيفما كانت طبيعة الموضوع والمُحاور، وحيث يطراً شيء من التغيير على اللغة، وأن تكون هذه الغيرية لشيء أو لكلمة أو لشعلة، فذلك هو الذي يؤسس لكونيّة التجربة التأويلية<sup>6</sup>. إنّ الحوار انفتاح دائم على التفاهم، إنّهُ أفق منفتح لتذويب سوء الفهم وإدراك الفهم. يقول غادامير: "ترتكز حياة الحوار كما بيّن هامبولد، على دلالات متموجّة، والاتفاق على أنّه ثمة سوء فهم

<sup>3</sup> - H.G.Gadamer, *Vérité et méthode, les grandes lignes d'une herméneutique philosophique*, tr. Pierre Fruchon, Jean Grondin, Gilbert Merlio. Seuil, Paris collection L'Ordre philosophique, 1996. P.386.

<sup>4</sup> - Ibid. p.390.

<sup>5</sup> - Ibid. p.401.

<sup>6</sup> - H.G.Gadamer, *philosophie herméneutique*, tr. J. Grondin, PUF, p.158.

ضمن كل فهم، وأننا نتفاهم دائماً لنفتح مجال إمكانية التبادل، كما هو الأمر مع توقيع عقد لتنازل طرفين<sup>7</sup>. تقتضي بنية الحوار دائماً إمكانية للتبادل، تبادل الآراء والأطروحات، وكل جواب يقتضي سؤالاً والعكس، لا يتقيد الحوار، الذي هو نحن بالذات، بنهاية، فليس ثمة كلمة أخيرة، مثلما لم تكن هناك كلمة أولى، كل لفظ هو في حد ذاته جواب، وبالتالي إعادة طرح السؤال<sup>8</sup>.

وجب الإشارة إلى أن صاحب المقال هو من أكبر المتخصصين في فلسفة التأويل والفلسفة المعاصرة، أستاذ في جامعة مورييال بكندا، والمقال هو خاتمة كتاب بعنوان "الهرمينوطيقا" صدر سنة 2006، وقد سبق لغرونډان أن حرّر كتاباً بعنوان "كونية الهرمينوطيقا" صدر سنة 1993، فصّل فيه القول في المسألة بدءاً من الجذور الأولية لبداية ظهور المبحث إلى فلاسفته المعاصرين.

---

<sup>7</sup> - Ibid.

<sup>8</sup> - Ibid.

## الترجمة:

إذا كانت الهرمينوطيقا<sup>9</sup> تمثل لغة التواصل Koiné<sup>10</sup> في عصرنا هذا، فإنّها ستتخذ مظهراً مخالفاً لذلك الذي كنّا نتصوره. اعتباراً أنّها مبحث فلسفي. تهدف الهرمينوطيقا إلى وضع اليد على خلاصة تجربتنا الكونية حول العالم. لكن هذه الكونية تتخذ أشكالاً مختلفة. يمكننا توضيح هذا الأمر انطلاقاً من القولة المأثورة التي تعبّر عن هذه الكونية: "ما من شيء إلا ويخضع لتأويل معين". إنّ مختلف المعاني التي يمكن أن نمناها لهذه العبارة تبقى قريبة من تلك التي يعطيها لها أكبر ممثلي الهرمينوطيقا، لكن أيضاً بالنسبة إلى "الهرمينوطيقيين المجهولين"، الذين دافعوا عن هذه العبارة، لكن دون أن يُحسبوا على التراث الهرمينوطيقي. سوف نرى كيف أنّ كل تأويل يمتّ بصلّة إلى نتائج تتعلق بمفهوم الحقيقة.

1- إنّ العبارة "ما من شيء إلا وهو خاضع لتأويل" يمكن أن نقرأها أولاً وقبل كل شيء قراءة تنتشوية، انطلاقاً من منظور إرادة القوة، إنّها فكرة سبق وأن ردّها السفسطائيون في فترة أفلاطون: "ليس هناك ظواهر، بل كل ما هنالك تأويلات لهذه الظواهر"، بصيغة أخرى ليس هناك في الواقع حقيقة، إذا ما تحدثنا عن مفهوم المطابقة. إنّ الحقيقة، يضيف نيتشه، ليست سوى وجهة نظر معينة أملتها إرادة قوة تهدف إلى الهيمنة.

يمكن الإشكال في هذا التصور في أنّه هناك فعلاً وقائع، وأخطاء وهفوات. فأن نقول إنّ باريس (وليس مرسيليا) هي عاصمة فرنسا، وإنّ جزيئة الماء تتكون من ذرة أو كسجين وذرتين (وليس ثلاثاً) من الهيدروجين، وأنّني لم يسبق لي أن ذهبت إلى كوكب بلوتون، فإنّ كل هذه وقائع وليست مجرد تأويلات.

2- يمكن أن نفهم أيضاً هذا المنظور انطلاقاً من معنى ابستمولوجي: تقول الأطروحة إنّّه لا وجود لمعرفة مسبقّة حول العالم من دون مخطط قبلي، دون "باراديغم"<sup>11</sup> للتأويل حسب كون Kuhn

<sup>9</sup> - يشير المفهوم إلى ممارسة فكرية دليها الآلية أو الفن، تتضمن في اشتقاقها اللغوي كلمة «Thechné» التي تحيل إلى الفن بمعنى الاستعمال التقني. يتخذ الفن أيضاً دلالة التفسير والتأويل ويشتمل على فن الفهم دعامة أساسية. تدل الهرمينوطيقا في التبولوجيا على تأويل النصوص المقدسة وترجمتها، وقد ظهرت أول مرة في كتاب لدنهاور سنة 1654، تحت ضغط تفسير النص المقدس وتأويله، حيث عرف القرن 17 ظهور نوعين من الهرمينوطيقا: اللاهوتية وتهتم بالنصوص المقدسة واللاتينية، ثم القضائية وهدفها التطبيق السليم والصائب للقوانين والتشريعات. انظر: هانس غيورغ غادامير، فلسفة التأويل: الأصول والمبادئ والأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات اختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، ط2، 2006، ص 61. انظر كذلك، مصطفى العارف، الهرمينوطيقا والفهم: شلايرماخر، دلتاي، غادامير، مجلة مدارات فلسفية، ع 14، 2006، ص 145

<sup>10</sup> - مشتقة من Koinon بالإغريقية، وتعني اللغة اليونانية المشتركة المستعملة في حوض المتوسط. يحدد المفهوم مجموع الاعتقادات المشتركة بين أفراد أو جماعات مختلفة من مناطق متباعدة.

<sup>11</sup> - يمكن أن نلخص نظرية توماس كون في الخطاطة التالية: ما قبل العلم - العلم السوي - الأزمة - العلم السوي الجديد - الأزمة الجديدة. تبين هذه الخطاطة عن مسار تطور العلم باعتباره معرّضاً دائماً لهزات عنيفة، وهنا يظهر الباراديغم ليحل محل براديغم آخر. تبني الجماعة العلمية للباراديغم يعطيه الصفة العلمية، لكنه في الوقت نفسه يواجه تكتيبيات وانتقادات، وعندما لا يستطيع مواجهتها ينهار وتظهر الأزمة التي تجد طريقها إلى الحل عندما يظهر باراديغم جديد يحظى بقبول الجماعة العلمية.

(حسب أطروحة توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية")، فكل علم يدور حول قاعدة للتمثيلات العامة للعالم، والتي تتقاطع مع إطار للمعقولية والتماسك من خلاله يمكن أن نميز بين الحقيقة والخطأ. لكن هذا الإطار نفسه قابل للتغيير وموضوع للثورات العلمية التي تأتي لقلب الثوابت الموجودة. هنا ينجح الباراديغم في أخذ مكان باراديغم آخر. إنَّ الحقيقة مرتبطة بالتأمل، لكنَّها مرتبطة بباراديغم معطى. (مشكل حقيقة الباراديغمات هو نفسه موضوع نقاش إبستيمولوجي).

3- يمكن أن تأخذ الأطروحة "كلُّ شيءٍ إلا وقابل لتأويل" معنى تاريخياً عاماً: فكل تأويل هو وليد عصره، تتوافق هذه الفكرة مع ما يمكن أن نطلق عليه بالتاريخانية. كان هذا هو مشروع الهرمينوطيقا الكلاسيكية والمنهجية<sup>12</sup> (دلناي). لقد حاولت هذه الهرمينوطيقا، ما أمكن، جعل التاريخ مجالاً لبحثها، لكن الاتجاه النسبوي ما بعد الحدائي يرى في التاريخانية تحريراً: لقد حررتنا من مفهوم الحقيقة بوصفها مطابقة، فالحقيقة ليست سوى "منظور نفعي". تبقى الحقيقة شيئاً ممكناً داخل النسق التاريخي، لكن تأويل ظاهرة معيّنة إلى حقيقة يعني أن نفهم هذه الظاهرة انطلاقاً من سياقها، فالحقيقة المعزولة عن سياقها تبدو كما لو كانت معزولة تماماً.

4- يمكن أن نفهم هذا القول المأثور "ما من شيءٍ إلا وهو خاضع لتأويل معين"، من منظور إيديولوجي أيضاً: إنَّها تعني أنّ كل تصور للعالم رهين مصالح مصرح بها بدرجات متفاوتة. يحضر ماركس وفرويد وانتقاداتهم الشديدة للإيديولوجيا وكل أولئك الذين سماهم ريكور بأساتذة الشك<sup>13</sup>. نتج عن هذا الشك هرمينوطيقا قاعدية حملت معها دعوة للحقيقة، لكنَّها ظلت مثالية، إن لم نقل غيبية eschatologique ليس فقط لأنَّها تبدو خاصة بالمفكر (كونها تُطلع على الحقيقة الأخيرة للظواهر)، ولكن لأنَّ «موضوعها» لا يمكن التعرف عليه كلياً إلا إذا كان في قبضة الأيديولوجيا التي تشوّه وعيه. إنَّ هذه هي الحقيقة المثالية التي يقدمها لنا المفكر عندما يهتم بانتقاد حالة مجتمع معين أو وعي ما.

<sup>12</sup>- كان هدف دلناي هو استكمال مشروع نقد العقل الخالص بنقد العقل التاريخي، من أجل تأسيس المعرفة التاريخية تأسيساً فلسفياً. معرفياً لتوضيح شروط إمكانها وحدود صلاحية أحكامها، فأمام الجواب الذي أعطاه كانط على سؤال: كيف يكون العلم الخالص بالطبيعة ممكناً؟ حاول دلناي من جهته الإجابة على سؤال: كيف يمكن للتجربة التاريخية أن تصير علماً؟ يقول دلناي: "إنَّ الشرط الأول ليصير التاريخ علماً هو أن أكون أنا نفسي كائنًا تاريخيًا"، فالإنسان كائن تاريخي أولاً، ولكي يصير التاريخ معرفة منهجية وجب أن تتمثل أنفسنا جزءاً من التاريخ، أي أن نعتبر أنفسنا ذواتاً داخل موضوع معين هو التاريخ، من هنا كيف يمكن للتجربة الشخصية للفرد، والمعرفة التي يحمل، أن ترقى إلى مستوى التجربة التاريخية؟ يعني هذا بالنسبة إلى دلناي ضرورة تأسيس إبستيمولوجي لعلوم الإنسان، والخطوة الأساسية لهذا الغرض تكمن في الانتقال من تأسيس سياق معين داخل تجربة حياة الفرد إلى سياق تاريخي غير معيش من طرف أي فرد.

<sup>13</sup>- يطلق ريكور على ماركس وفرويد ونييتشه أساتذة الشك، لكونهم جعلوا مسألة اليقين موضع تساؤل وتمحيص، فالأشياء بالنسبة إلى ديكرت تخضع بطبيعتها للشك لكونها لا تبدو كما هي للوهلة الأولى، لكنه لم يشك البتة في أنّ الوعي أو الفكر ليس هو ما يظهر لنفسه، فهو واضح ويقيني. لكن بالنسبة إلى أساتذة الشك أصبح من الممكن الشك حتى في الوعي الذي يوظرننا. إنَّ هؤلاء الشكاك الثلاثة ليسوا مجرد ريبينيين، بل استطاعوا تأسيس ما سمي فيما بعد بالتقويض، الذي يعد عند هيدغر بمثابة لحظة تأسيسية بامتياز. انظر:

P. Ricoeur, le conflit des interprétations, Essais d'herméneutique, éd. Seuil, Paris, 1969, p.148-151.



تبدو هذه المظاهر أكثر ملاءمة ومناسبة للأهمية الهرمينوطيقية، لكن أكبر ممثلي التراث الهرمينوطيقي دافعوا عن مفاهيم محددة بخصوص هذه الكونية.

5- تكمن كونية الهرمينوطيقا بالنسبة إلى هيدغر في بعدها الوجوداني<sup>14</sup> Existential. فالإنسان باعتباره كائناً يسائل نفسه باستمرار ويُندر نفسه للتأويل، يحتاج إلى التأويل ويعيش في خضم التأويلات، بيد أنه قادر على التفسير والتوضيح. إنّ هذه الدرامية الأوغسطينية التي منحها هيدغر للهرمينوطيقا تمثل فلسفة كونية لحدثية الإنسانية التي تهدف إلى إخراج هذه الأخيرة من النسيان الذي يطال ذاتها، والتي هي مسؤولة عنه. تبقى الحقيقة المتوافقة بالتأكيد محصنة.

يؤكد هيدغر أنّ مهمّة التأويل الأولى هي بلورة مشاريعه المتعلقة بفهم الأشياء ذاتها. لكن هذا يعني أنّه من الممكن سنّ مشاريع مناسبة لما يمكن أن يصبح عليه الوجود Existence عندما يضطلع وينهمم بنفسه. وإذا كان من الضروري هدم التأويلات "الفاصلة"، تلك غير الملائمة والمحجبة لكونها تبعدنا عن غاياتنا، فإنّ الأمر يتعلق إذاً بمشروعية مثالية.

6- بالنسبة إلى كاتب مثل غادامير، أو غيره، يجب أن تُفهم كونية الهرمينوطيقا انطلاقاً من معنى لغوي<sup>15</sup>، فكل تأويل وكل علاقة بالعالم تفترض عنصر اللغة، كما أنّ مكمل الفهم وموضوعه هو لغوي بالضرورة. إنّ الحقيقة المتوافقة، في هذا العالم، ممكنة، لكن يتعلق الأمر دائماً بتوافق مع لغة الأشياء نفسها، فمن الممكن إعادة النظر في تأويلاتنا بمطابقتها لها مع ما تقوله الأشياء نفسها، أي اللغة التي تتكلم

<sup>14</sup>- ترجمة مفهوم existential تختلف عن مفهوم existentiel، يشير الثاني إلى الوجود باعتباره شكلاً عاماً يتضمن الإنسان في بعده الوجودي، وهو بذلك يحيل إلى الإنسان من خلال الوجود. بينما يحيل الأول إلى مجموع البنات القبلية الأنطولوجية للوجود الإنساني، البنية الأنطولوجية للكينونة أي بنية الإنسان بما هو إنسان سابق على كل تجربة في الحياة. الوجوداني له علاقة بالكينونة، بينما الوجودي له علاقة بالعالم.

سيحاول هيدغر من خلال مشروعه الفكري المطابقة بين الهرمينوطيقا والأنطولوجيا ليصيرها مبحثاً واحداً. ذلك أنّ صاحب "الكينونة والزمان" غير مجال بحث الهرمينوطيقا من الاستيمولوجيا إلى الأنطولوجيا، فالفلسفة باعتبارها أنطولوجيا فينومولوجية كونية تكمن مهمتها في تأويل الدازاين، لم يعد الفهم في هذه الحالة ظاهرة معرفية، بل صار حالة كينونة.

إنّ السؤال المنسي في "الكينونة والزمان" هو سؤال المعنى، وهو سؤال فينومولوجي، ولن يكون هرمينوطيقياً إلا إذا كان المعنى مستتراً. لكنه لكي يصبح كذلك، أي هرمينوطيقياً، يجب عليه أن يكون السؤال المركزي للفينومولوجيا، ومعترفاً به على أنّه سؤال في المعنى وحوله. إنّ التحليل الفينومولوجي للدازاين هو في كنه الأمر هرمينوطيقاً تعمد إلى فهم الدازاين، لذلك فالأنطولوجيا لئن كانت من حيث المنهج ما هي إلا فينومولوجية، فإنها من حيث الإشكالية لن تستطيع أن تكون إلا هرمينوطيقية. يرتبط الفهم الهرمينوطيقي عند هيدغر بالكينونة، فهو نشاط وجودي وليس بالأحرى ذهني، إنه لا يمتّ بصلة للمنهج، بل إنه الطريقة التي يوجد عليها الدازاين. إنّ المسألة الأساسية في الكينونة والزمان ليست هي: كيف نفهم الكينونة؟ وإنما، كيف نفهم، هي الكينونة على نحو ما، إنه ليس عمليات واعية أو غير واعية، بل الانكشاف الحقيقي للإنسان.

<sup>15</sup>- يقول غادامير "إنّ الكينونة التي يمكن فهمها هي في حقيقتها لغة"، تمثل هذه العبارة بحق خلاصة تصوّرات غادامير حول اللغة، تتمثل هذه الأخيرة التاريخ باعتباره نقلاً للرسائل بين سؤال وجواب، حيث تكون هي النموذج الأساسي الذي تحصل فيه الكينونة. إنّ اللغة هي التي تفتح الكينونة المشتركة، إنّها الوسيط الذي يخترق كل شيء، وكل شيء ينكشف من خلال اللغة.

يؤكد غادامير العلاقة الوطيدة بين الفهم والتأويل، فحسب رأيه أنّ التأويل يتم داخل اللغة، وكل تأويل هو في كنه الأمر ترجمة، أي الكشف عن معانٍ أخرى لا تظهر في النص، فالترجمة عملية تحويل إلى لغة أخرى، سواء أكانت نقلاً مباشراً أم بواسطة الشروح. كما أنّ الفهم هو لغوي بالأساس، لأنّ فهم التراث والوجود لا يمكنه التحقق إلا داخل اللغة. انظر:

H. G. Gadamer, Vérité et méthode, op.cit, p.462.



بها. ما نقوله قد يبدو أقل فضولاً مما قد يبدو على مستوى الواقع. فإذا قبلنا الأطروحة: "الشمس تدور حول الأرض" بأنها كاذبة، فذلك ناتج عن بدهة الواقع التي تكذب هذه الأطروحة. يمكن أيضاً لمفهوم علمي أو فيلولوجي أن يخضع دائماً للدحض بواسطة عملية فهم ملائمة وهي التي تحتاج إلى لغة الواقع ذاته، أي بدهة الأشياء، على الرغم من أنّ هذه البدهة لا تظهر إلا عن طريق اللغة. تمثل اللغة بالنسبة إلى غدامير الأشياء ذاتها قبل أن تكون لغة تفكيرنا (الذي بدوره يستقبل الأشياء).

إنّ مفهوم كونية اللغة ليس وحده الأطروحة التي تمّ الدفاع عنها في الهرمينوطيقا.

7- الأطروحة الأكثر قابلية هي بدون شك تلك التي تقول بها ما بعد الحداثة (بيد أنّها تبدو أكثر حداثة)، والتي ترى في اللغة وسيلة لوضع صورة للواقع، ترسيمة تجعل من فكرة الواقع مناسبة، حيث يمكن أن يُقال عن تأويلاتنا إنّها مناسبة (الواقع نفسه "يتشكّل" بواسطة التأويلات التي نمنحها له). تسمح هذه الأطروحة ما بعد الحداثة بظهور معانٍ منظورية ومعرفية وتاريخية وإيديولوجية ووجودية ولغوية، وهي التي قمنا بالتمييز بينها، ومن أجل معارضة فكرة ملائمة الواقع الوهمية. يمكن أن نلغي نقط تقاطع بين هذه الهرمينوطيقا ومنظورية إرادة القوة كما سبق الذكر. لكن الفكر الما بعد حدثي يتميز بأطروحته القائلة بأنّ المعنى محصور بإطار تأويلي شامل وصارم بدرجات متفاوتة، والذي هو نتاج تاريخ الميتافيزيقا (دريدا)، أو عن إبيستيمي عام لحقبة معينة (فوكو)، أو من التراث (فاتيمو)، أو انطلاقاً من الإطار البراغماتي العام الذي يحدد ثقافتنا (رورتي). ليس هناك بالنسبة إلى هؤلاء تلاؤم حتى مع نظام معطى. لكن اندثار كل مرجع خارج لغوي يمكّن من ظهور تسامح جديد مقابل تعددية التأويلات الموجودة. إذا ما كانت هذه الخصلة محمودة أكثر، فإنّ انحلال مفهوم الحقيقة سيصبح أمراً محتوماً بالنسبة إلى هذا النوع من الهرمينوطيقا: لماذا إذاً تبدو هذه النظرية أكثر صدقاً من غيرها؟

إذا كانت الهرمينوطيقا، من جهة أخرى، تمثل مبحثاً كونياً، فلأنه وقبل كل شيء نحن كائنات نعيش دفعة واحدة داخل مُكوّن للمعنى لا يمكن تجاوزه، ونبذل كل ما في وسعنا لفهمه واعتباره شيئاً ضرورياً بيننا.

لكن هذا المعنى يبقى دائماً هو الأشياء ذاتها، أي ما تريد هذه الأشياء قوله، إنّه معنى يتجاوز تأويلاتنا الفقيرة وأفقنا المحدود، لكنه، حمداً لله، قابل للتمديد بواسطة اللغة التي نمتلكها.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun\_sm



الرباط - أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

[info@mominoun.com](mailto:info@mominoun.com)  
[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)